أحمد الشايب ناقداً أسلوبياً

تاريخ الاستلام: ٢٠٠٨/٤/١ تاريخ القبول: ٢٠١٠/٢/٢

د. حسام محمد أيوب(*)

ABSTRACT

This paper consists of an introduction and the following seven sections:

Definition of style .

Stylistics and Rhetoric.

Stylistics and Literary Criticism.

Stylistics and History of Literature .

Self Stylistics .

Stylistic Phenomenon .

Levels of Stylistic Analysis .

The Introduction hilights the significance of this research and the approach used .

Section One tracs al_Shayab's attempt to form an eclectic definition of stylistics.

Section Two studies al-Shayab's attempts to link Stylistics to Rhetoric. Section Three surveys his attempt to link Stylistics and Literary criticism through descriptive approach.

Section Four studies al-Shayab's linking of Stylistics to History of Literature through a comprehensive picture of Arabic literature approaches.

The influence of self stylistics school on al-Shayab constitutes the subject of Section Five.

Section Six studied the differences made by al-Shayab between the stylistic phenomena and linguistic phenomena .

The last section shows how al-Shayab distributes stylistic phenomena on stylistic analysis levels.

The study is concluded with a number of results and observations arrived at throughaout the study.

(*) أستاذ مساعد/جامعة جرش الأهلية/الأردن.

ملخص

قام هذا البحث على مقدمة وسبعة مباحث هي:

١. تعريف الأسلوب
٢. علم الأسلوب وعلم البلاغة
٣. علم الأسلوب والنقد الأدبي
٤. علم الأسلوب وتاريخ الأدب
٥. الأسلوبية التكوينية
٦. الظاهرة الأسلوبية
٧. مستويات التحليل الأسلوبي

أما المقدمة فقد أبرزت أهمية البحث والمنهج المتبع في الدراسة، وفي المبحث الأول درست محاولة الشايب صياغة تعريف توفيقي لمفهوم الأسلوب، وفي المبحث الثاني عرضت لمحاولة الشايب الربط بين علم الأسلوب وعلم البلاغة، وفي المبحث الثالث عرضت لمحاولة الشايب الربط بين علم الأسلوب، والنقد الأدبي من خلال مبدأ الوصفية، وفي المبحث الرابع أبرزت ربط الشايب بين علم الأسلوب وتاريخ الأدب من خلال تصور كلي لأساليب الأدب العربي، وفي المبحث الخامس درست تأثر الشايب بالمدرسة الأسلوبية التكوينية، وفي المبحث السادس درست تفريق الشايب بين الظاهرة الأسلوبية والظاهرة اللغوية، وفي المبحث السابع عرضت لتوزيع الشايب الظواهر الأسلوبية على مستويات التحليل الأسلوبي.

وفي الخاتمة قدمت أهم النتائج التي توصلت إليها.

المقدمة

تكمن أهمية هذا البحث في التعريف برائد من رواد الـدرس الأسـلوبي العربـي الحديث وهو الناقد "أحمد الشايب" في كتابه "الأسلوب"، وتجدر الإشارة إلـى أن الطبعـة الأولى من الكتاب قد صدرت عام **١٩٣٩م**، وقد ذكر فيها ما نصه "فهـذه فـصول فـي الأسلوب مهدت لها ببيان ما ينبغي لنا أن نسلكه في درس البلاغة العربية حتـى يـساير الدراسات الأدبية الأخرى في عصرنا الحديث"(١) وهذا يعنى أن الهدف الرئيسي من تأليفه الكتاب هو تجديد البلاغة العربية، أول بعبارة أخرى هو إعادة قراءة النص البلاغي على وفق المعطيات المعاصرة.

ثم نراه يفصل هذا الهدف في مقدمة الطبعة الرابعة الصادرة سنة ١٩٥٦م حيـث يقول: "ويقوم هذا المنهج على ملاحظة أن الدراسة النظرية للبلاغة العربية انتهـت عنـد المتقدمين إلى علم المعاني، والبيان، والبديع، يدرسون فـي الأول الجملـة منفـصلة أو متصلة، ويدرسون في الأخيرين الصورة بسيطة أو مركبة من تشبيه، ومجـاز، وكنايـة، وحسن تعليل، مع توابع أخرى في علم البديع، وهذه الدراسات لا تستوعب أصول البلاغة كما يجب أن تكون، لتساير الأدب الإنشائي في أساليبه وفنونه".(٢)

ثم يصرح قائلا: "لذلك أشرنا في هذا الكتاب إلى أن علم البلاغة العربية يجـب أن يوضع وضعاً جديداً يلائم ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتها: العلمية والإنـشائية. ورأينا أن يدخل علم البلاغة في بابين أو كتابين: الأول: باب الأسلوب أو كتابه ويتنـاول دراسة: الحروف، والكلمات، والجمل، والصور، والفقرات، والعبارات.........أما الباب أو الكتاب الثاني: فيدرس الفنون الأدبية وقوانينها شعراً أو نثراً، يدرس أصول المقالـة، والخطابة، والرسالة، والجدل، والوصف، والرثـاء، والقـصة، والملحمـة، والتمثيليـة،

---

(1) أحمد الشايب – **الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٩٠م، ص٣

(2) المصدر نفسه، ص ٣

والتأريخ، والتأليف، إلى غيرها من هذه الفنون الأدبية التى زخرت بها الآداب العلمية، وشرعت قواعدها، ولم تحظ في بلاغتنا النظرية إلا بإشارات خاطفة لا تغني شيئا."(١)

كما تجدر الإشارة إلى أن كتاب "الأسلوب" قد تعرض لمجموعة من الانتقادات، فهذا "شكري عياد" يتعجب من أن دراسة الأسلوب لدى الشايب تتضمن تعليمه، وفي الوقت نفسه يعني: الفردية والذاتية مما يطرح تساؤلاً عن كيفية تعليم الأسلوب، أو بعبارة أخرى: إذا كانت التجربة الإنسانية هي معيار الفكرة، والعاطفة والخيال، فكيف سيتم تعليم الأسلوب؟

ويخلص إلى أن ملامح الجديد عنده لا تعدو الإشارة إلى مجموعة من الأمور المبهمة التي لا يقوم عليها علم كنفس الكاتب ووجدانه، وما فيهما من خيال، وتصور وموسيقى، هذا بالإضافة إلى أنه قد جعل عمل الناقد فنياً، وعمل المنشئ نوعاً من العلم التطبيقي.(٢)

أما محمد عبد المطلب فيقر بأن كتاب الأستاذ أحمد الشايب قد لقي رواجاً كبيراً، وقبولاً حسناً لدى معلمي اللغة العربية في مدارسنا – على وجه الخصوص – حتى أصبح منهجه في فهم الأسلوب، وتحليل النص دستوراً لهم، يطبقونه نظرياً وعملياً في الشرح والدرس والتأليف، وقد أدى ذلك – بوعي أو دون وعي – إلى ما نراه في الدرس الأدبي للطلاب من تمزيق للنص، وإخراج أمعائه دون أن يقع الطالب على الجماليات الحقيقية الكامنة في التعبير اللغوي.(٣)

(1) المصدر نفسه، ص ٣، ٤

(2) شكري عياد – **اللغة والإبداع ،مبادئ علم الأسلوب العربي**، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٢٨-٣٢

(3) محمد عبد المطلب – **البلاغة والأسلوبية**، ط١، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ١٩٩٤م، ص ١١٧

أما إبراهيم عبد الجواد فقد وقف في دراسته لكتاب الأسلوب موقفاً متوازناً، حيث إنه أشار إلى بعض الملامح المتميزة لدى الشايب كجمعه بين أثر المبدع، وأثر الموضوع، وأثر العبارة اللغوية في تشكيل الأسلوب.[1]

ولكن هذا لم يمنعه من أن يأخذ على الشايب وقوعه في التناقض حين قرر أن الذاتية هي أساس تكوين الأسلوب، ثم يقدم بعض النصائح وكأنه يبغي تعليم الأسلوب للمبدعين.[2]

كما يأخذ عليه عدم المنهجية حين قرر أن وجه الاختلاف بين الشعر والنثر يكمن في أن النثر تغلب عليه صفة الإفادة، والشعر تسوده صفة التأثير، ويعلق على ذلك قائلاً: "ويبدو أن في هذا نوعاً من عدم المنهجية، فهل الشعر الذي يخاطب العقل لا المشاعر كبعض شعر المعري والمتنبي يخرج من دائرة الشعر؟ ثم ماذا عن النصوص النثرية التي تخاطب الوجدان الإنساني، ومصبوغة بالانفعالية، أتخرج من دائرة النثر؟".[3]

ويلتفت الباحث إلى تأثر الشايب بالمحدثين من العرب، فهو يسير على هدى من آراء أحمد أمين، وبخاصة في تمييزه بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي، وذلك على أساس توافر بعض الخواص في كل منهما.[4]

ومع ذلك فإن وجود مثل هذه الانتقادات لا ينتقص من القيمة الريادية لكتاب "الأسلوب" الذي يعد بحق من أولى المحاولات الجادة في إعادة قراءة البلاغة العربية.

وقد اتبعت في هذا البحث منهجاً تأويلياً في قراءة الكتاب، تجلى ذلك من خلال الخطوات التالية:

---

(1) إبراهيم عبد الجواد – **الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث**، ط١، ١٩٩٧م، عمان، الأردن، ص ٩١

(2) المصدر نفسه، ص٨٩

(3) المصدر نفسه، ص٩١

(4) المصدر نفسه، ص٩٢

١. تجنب البحث عن إجابات لأسئلة قديمة.

٢. طرح أسئلة جديدة على النص.

٣. فهم النص بمعايير الوعي المعاصر ما دام يحتمل الدلالة المعاصرة.

١. تعريف الأسلوب

قبل البدء بالحديث عن تعريف الأسلوب تجدر الإشارة إلى تعريف الشايب للأدب فهو "الكلام الذي يعبر عن العقل والعاطفة "[١].

وهو تعريف فيه إبراز للجانب اللغوي في الأدب، وهذا واضح من خلال قوله "الكلام"، فالأدب كلام قبل أن يكون خيالاً أو صوراً فنية أو عواطف.

ويقول أيضاً: الأسلوب هو الوسيلة اللازمة لنقل ما في نفس الأديب من عناصر معنوية كالعاطفة والفكرة[٢].

وهو بذلك جعل من الأسلوب قيماً مهيمنة في النص الأدبي، فالأدب كلام يعبر عن العقل والعاطفة، والأسلوب هو الوسيلة، اللازمة لنقل الفكرة والعاطفة.

ويخطو الشايب خطوة متقدمة حينما يؤكد بأن الظواهر الأسلوبية هي الوسيلة الوحيدة لنقل العاطفة وذلك من خلال قوله "فعاطفة الشاعر القوية تثير مثلها في نفوس القراء والسامعين بوساطة الأسلوب"[٣].

ومما يلفت الانتباه توظيف الشايب لثلاثة معايير في تعريف الأسلوب هي:

(1) أحمد الشايب – الأسلوب، ص١٣

(2) المصدر نفسه، ص١٢

(3) المصدر نفسه، ص٧٨

١-١ الأسلوب اختيار

ذهب كثير من الباحثين إلى أن اللغة قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير، ومن ثم فإن الأسلوب اختيار يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة، بغرض التعبير عن موقف معين، ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين تشكل أسلوبه الذي يمتاز به.[١]

ويقوم هذا التصور لدى دارسي الأسلوب أساساً على أن نظام اللغة يقدم للمتكلم إمكانيات عديدة يمكن استخدامها للتعبير عن حالة واحدة، ولكن مقارنة الإمكانيات الاختيارية لا يتحقق عملياً إلا في الحالة التي يكون فيها عدد التنوعات كبيراً، لذلك حين توجد قيود نحوية كثيرة تقل إمكانيات الاختيار الأسلوبي. فالأسلوب هو الاختيار بين المصادر المعجمية المتنوعة وبناء الجمل في لغة معينة[٢].

أما أحمد الشايب فيعرف الأسلوب بقوله: "طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة **اختيار** الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه"[٣].

وقد أوصل هذا المفهوم الشايب إلى عده عملية الإبداع الأدبي عملاً أسلوبياً فها هو يقول "وأما اختيار الأفكار وتنسيقها وإيثار الكلمات الدقيقة، والجمل الواضحة، فذلك **عمل أسلوبي،** لأنه طريقة يقوم بها الكاتب متأثراً بموضوعه من جهة، وبشخصيته من جهة أخرى"[٤].

(1) سعد مصلوح – **الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية**، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م، ص٢٣

(2) هوف، غراهام – **الأسلوب والأسلوبية**، ط١، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م، ص ٢٤

(3) أحمد الشايب، الأسلوب، ص٤٤

(4) المصدر نفسه، ٥١

وفي هذا السياق يقول الشايب "كان الكاتب الأمين ذو الطبع الأدبي الصادق، منصرفاً إلى تخير الكلمات الفصيحة الدقيقة المعنى، المتلائمة مع أخواتها حتى تطمئن عناصر العبارة في موضعها دون إكراه، وحتى يجمع الأسلوب بين وضوح التفكير، وجمال التصوير "(١).

ولعل في هذه الإشارة ما يقترب مما ذهب إليه رومان ياكبسون Jakobson في تحديد الأسلوب من أنه تماثل بين عمليتين " أي: تطابق لجدول الاختيار على جدول التوزيع مما ينشئ انسجاماً ما بين العلاقات الاستبدالية التي هي علاقات غيابية يتحدد الحاضر منها بالغائب، والعلاقات الركنية، وهي علاقات حضورية تمثل تواصل سلسلة الخطاب حسب أنماط بعيدة عن العفوية والاعتباط(٢).

١-٢ الأسلوب انعكاس للشخصية

دعا بعض الدارسين من أمثال مدلتون مري Murry إلى استبعاد الفكرة القائلة بأن الأسلوب هو: زخرفة الكلام، فمن المستحيل أن نفهم الاستعارة فهماً فعلياً على أنها نوع من الزخرفة، وإنما هي التعبير الفريد عن رؤية الكاتب الشخصية، وبهذا ينظر إلى النقد على أنه فحص الوسائل التي يستطيع الإنسان بواسطتها أن يعبر باللغة عن رؤيته وشعوره الرائع.(٣)

ومن أصحاب هذه النظرية فوسلر Vossler و شبتسر Spitzer ، فالأسلوب لديهما ظاهرة فردية تطبع بفردية المؤلف وشخصيته حيث التعبيرات اللغوية تمثل صوراً للحوادث الفكرية الخاصة بصاحب التعبير، وهو انعكاس كذلك للواقع الاجتماعي

(1) المصدر نفسه، ص٤٨

(2) عبد السلام المسدي – الأسلوبية والنقد الأدبي، منتخبات من تعريف الأسلوب وعلم الأسلوب، **الثقافة الأجنبية**، السنة الثانية، عدد ١، العراق، ١٩٨٢م، ص٣٥- ٤٣، ص٤٣

(3) مري، مدلتون – معنى الأسلوب ،ترجمة صالح الحافظ، **الثقافة الأجنبية**، السنة الثانية، عدد١، العراق، ١٩٨٢م، ص ٦٧- ٧٤، ص٧٠، ٧١

والاقتصادي لعصر الكاتب. ولكن إذا ما عرف الأسلوب على أنه إفراز للشخصية الفردية الذاتية فإنه من المنطقي أن يتم تحليل الأسلوب بطريقة واحدة دون أي محاولة لتعميمات تعود بشيء جديد، بالإضافة إلى أن هذا التصور قد أنتج تخيلات كثيرة عن المؤلف، ولم ينتج مناهج لغوية يمكن استعمالها في الدراسة الأدبية.(١)

وضمن هذا السياق يوظف الشايب معياراً آخر يتلخص في أن الأسلوب انعكاس للشخصية، ولا أدل على ذلك من إيمانه بمقولة بيفون الأسلوب هو الرجل، التي علق عليها "يريدون بذلك أن أسلوب الأديب مرآة صافية لشخصيته كلها... فهذا الكلام يدل على أن أظهر خواص الأسلوب إنما تنشأ من شخصية كاتبه."(٢)

١-٣ الأسلوب انزياح

ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من الدارسين عدوا الأسلوب انزياحاً Deviation عن نموذج آخر ينظر إليه على أنه نمط معياري(٣)، أي: أنه خروج عن القاعدة اللغوية ومن القائلين بهذه النظرية ج . ب ثورن G .P Thorne . فالأسلوب هو الخاصية التي تتميز عن الخواص أو الصفات الطبيعية، وتشترك معظم الاقتراحات التي وردت في أسلوبية الانزياح بمطالبتها بمعيار خارج عن النص. وتفهم الانزياحات التي يتم اكتناهها في النص على أنها الأسلوب.(٤)

وفي السياق نفسه يعمد الشايب إلى توظيف معيار ثالث في رصده للظاهرة الأسلوبية ألا وهو مفهوم الانزياح الذي يستشف من قوله: "نعم هناك قوانين نحوية وبلاغية مقررة يراعيها جميع المنشئين ... أما العبقرية الذاتية، والقدرة على تصفية

(1) شبلنر، برند – **علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي**، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٧م، ص٥٥-٥٨

(2) أحمد الشايب – **أصول النقد الأدبي**، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٢٥٨

(3) سعد مصلوح – الأسلوب، ص ٢٧، ٢٨

(4) ج . ب ثورن – **النحو التوليدي والتحليل الأسلوبي، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي**، اختيار وترجمة وإضافة، ترجمة شكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٥م، ص ١٥٥- ١٦٩

الكلمات والتصرف في العبارة مما يجعلها مرآة لنفس الأديب فذلك عمل إيجابي كثيرا ما يحتقر القوانين المحددة، ويحقق هندسة الأسلوب."(١)

وبعد هذا كله يمكن القول إن انتقال الشايب من تعريف إلى آخر في دراسته لماهية الأسلوب لم يكن وليد الاضطراب في الفهم، وإنما كان نتيجة فهم صحيح للظاهرة الأسلوبية، وهذا يرجع إلى تكامل التعاريف السابقة، فالظاهرة الأسلوبية متعددة الأسطح كالمكعب، وهذا يستلزم منا أن نغير موقعنا مرات عدة حتى نستكشف أسطحه جميعاً.

ويمكن أن نرد الخلافات النظرية حول تعريف الأسلوب إلى مبادئ ثلاثة:

١- التركيز على العلاقة بين المنشئ والخطاب أوجب تلمس الأسلوب في شخصية المنشئ، وانعكاس ذلك في اختياراته عند ممارسته العملية الإبداعية، وبذلك يمكن القول: إن الأسلوب اختيار.

٢- العناية بعلاقة الخطاب بالمتلقي، أوجد تلمس الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها حيال المثيرات الأسلوبية الكامنة في الخطاب، وبذلك يكون الأسلوب قوة ضاغطة على حساسية المتلقي.

٣- عزل طرفي عملية الاتصال، وهما: المنشئ والمتلقي أوجب تلمس الأسلوب في وصف النص وصفاً لغوياً.(٢)

وقد اختلف الدارسون في المبدأ الثالث وهو وصف النص وصفاً لغويّاً، فنظر بعضهم إلى الأسلوب على أنه تعميق بلاغي وإضافة جمالية، ومنهم من قال إنه انحراف عن نموذج آخر من القول، ينظر إليه على أنه نمط معياري، واستبدل آخرون فكرة التقابل في النص بفكرة الانزياح عن المعيار الخارجي، وذهب آ خرون إلى القول بأنه تماثل لجدول الاختيار على جدول التوزيع، وهناك من ربط بين الخطاب واختلاف مجالات الاستعمال، وأغراض الحديث.

(1) أحمد الشايب – أصول النقد الأدبي، ص ٢٥٥

(2) سعد مصلوح – الأسلوب، ص ٢٩

وأرى أن هذه التعريفات تعريفات متكاملة، أكثر من كونها بدائل، لأن الأسلوب، يجسد فكر الكاتب وشخصيته من خلال اختياراته الواعية، ولكن حتى يحقق المنشئ الوضع الأمثل لمخاطبة الآخرين سيعمد إلى تكييف اختياراته حسب أصناف الذين يخاطبهم، وسيعمل على جلب الانتباه إليه، ولكن ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها المتلقي تتولد عن المثيرات الأسلوبية الكامنة في النص، ومن هنا يمكن القول: إن اختيارات المنشئ ستمثل عناصر بارزة في سلسلة الكلام وسيشمل هذا بالطبع التعميق البلاغي والإضافة الجمالية كالحديث عن مكونات الإيقاع، وقد تبدو بعض اختيارات الكاتب منزاحة عن الأصل، كالتقديم والتأخير، والحذف، والمجاز ...الخ، وقد يعمد كذلك إلى إدخال عناصر غير متوقعة إلى النموذج اللغوي، أو قد يعمد إلى إسقاط مبدأ التماثل على المتوالية التركيبية من خلال صور التكرار المتعددة، ولا شك أنه في هذا كله سيراعي مجال الاستعمال، وغرض الحديث، فالعلاقة بين التعاريف السابقة علاقة تكاملية وستظل كل الفرضيات السابقة عاجزة عن تعريف الأسلوب ما لم تنصهر في بوتقة واحدة.

٢. علم الأسلوب وعلم البلاغة

ليس للتراث وجود مستقل خارج وعينا به، وفهمنا له، أما وجوده المادي فغير مهم، فالمهم وعينا الثقافي به، وهو وعي غير مستقل لتغيّره، من خلال عملية البحث المستمرة عن أجوبة من التراث، ونفي بعض القضايا عنه، وطرح أسئلة جديدة عليه، فضلاً عن تجاهل بعض الأسئلة القديمة، وعلى هذا تكون القراءة الموضوعية للتراث واعية بمنطقه الداخلي، وغير منعزلة عن الوعي المعاصر، فهي قراءة تأويلية أو رحلة للبحث عن المغزى الذي يغني وعينا المعاصر دون التوقف عند المعنى الذي كان في عقول السلف[1].

---

(1) نصر حامد أبو زيد – **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٤م، ص ١٤٩– ١٥٢

وعلى هذا يمكن الإفادة من تراثنا البلاغي في اكتشاف أنواع التعبير المعتمدة، وتسميتها، وتصنيفها دون بحث عن البنية العامة لأنواع التعبير، في حين يهدف علم الأسلوب إلى تجاوز الطابع الجزئي للمقولات البلاغية التي لم تستطع أن تكتشف النظم الفاعلة. لقد ركزت البلاغة القديمة على الفروق القائمة بين الوسائل الشعرية كالكناية والاستعارة، أما النظرية الأسلوبية فإنها تبحث عن العامل الشعري الذي تعد الصور والوسائل الفنية تحقيقاً له.[١]

ويصرح الشايب بأن علم البلاغة نافع للأديب، والناقد، والمؤرخ، ولكل كاتب أو متكلم، أو خطيب.[٢]

ولكن هذا الإيمان بأهمية البلاغة لم يمنعه من نقدها، فهو يأخذ عليها:

١. **اقتصار الدراسة البلاغية عند حدود الجملة والصورة:**

يلخص الشايب ما انتهت إليه جهود البلاغيين بالتصرف في الجملة وعناصرها، خبرا وإنشاء، فصلاً ووصلاً، تعريفاً وتنكيراً، ذكراً وحذفاً، ثم الاختلاف بين التشبيه والمجاز والكناية مما لا يتجاوز كله دراسة الجملة دراسة قاصرة.[٣]

في حين يدرس علم الأسلوب "أسلوبيات الجملة" لتبحث القيم التعبيرية من جهات ثلاث:

أ. أجزاء الجملة أو الأشكال النحوية المفردة والانتقال من قسم من أقسام الكلام إلى قسم آخر.

ب. تركيب الجملة أي ترتيب أجزائها وأساليب النفي... الخ.

---

(1) صلاح فضل – **النظرية البنائية في النقد الأدبي**، ط٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ص ٣٦٤-٣٦٦

(2) أحمد الشايب – الأسلوب، ص١٧

(3) المصدر نفسه، ص ٢٠

ج. الوحدات الكبرى التي تجمع جملاً مفردة مثل الحديث المباشر، وغير المباشر الحر، وغير المباشر[1].

٢. **إغفال البلاغة للناحية النفسية لدى الأديب واهتمامها بالإقناع:**

يشكو الشايب من إغفال البلاغة العربية للناحية النفسية واهتمامها بالإقناع، وفي هذا يقول: "أما عن غاية البلاغة فليس المراد من الكلام وقفاً على تغذية الفكر وحده، فهناك قوى نفسية أخرى تعنى البلاغة بها ...ولا نقول إن الأدب العربي قصر في ذلك، وإنما نقول إن الدراسة النظرية فيما انتهت إليه هي التي ضاقت عن العناية بهذه المواهب النفسية. "[٢]

وهي الشكوى نفسها التي رددها تلميذه شكري عياد فقد أنشأ البلاغيون علمهم في ظل سيادة المنطق على التفكير العلمي لخدمة الخطابة أكثر من خدمة الفن الشعري، وبناءً على ذلك تعد الحالة العقلية للمخاطب أهم عنصر في ظروف القول عندهم. أما علم الأسلوب فقد نشأ في ظل ازدهار علم النفس الذي عني بالجانب الوجداني أكثر مما عني بالجانب العقلي، لذلك نجد "الموقف" في علم الأسلوب أشد تعقيداً من مقتضى الحال لكونه يشتمل على المنشأ، والجنس، والسن، والبيئة، والمركز الاجتماعي، والشخصية، والمزاج.[٣]

٣. **إغفال البلاغة لبعض مستويات التحليل الأسلوبي كالمستوى الصوتي والمعجمي:**

كما يشكو الشايب من إهمال البلاغة العربية لبعض مستويات التحليل الأسلوبي ويقول: "وأما عن الوسيلة فلم تكن اللغة العربية محصورة في الصورة والجملة وحدهما،

---

(1) ألمان، ستيفن – **اتجاهات جديدة في علم الأسلوب**، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، (مرجع سابق) ص ٨٣- ١٢١، ص ٩٦ ، ٩٧

(2) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ٢١

(3) شكري عياد – **مدخل إلى علم الأسلوب** ،١٩٢م، ص ٤٦ ، ٤٧

فهناك الحرف والكلمة والعبارة والأسلوب عامة ...مما أهملته هذه الدراسة – أو العلوم البلاغية – في اللغة حسبما انتهى إليه وضعها الأخير."[١]

في حين إن علم الأسلوب ينبسط على رقعة اللغة كلها، فجميع الظواهر اللغوية ابتداءً من الأصوات حتى أبنية الجمل الأكثر تركيباً، يمكن أن تكشف عن خصيصة أساسية في اللغة المدروسة، فعلم الأسلوب لا يدرس قسماً من اللغة، بل اللغة بأكملها منظوراً إليها من زاوية خاصة، ومن الواجب أن يساوى في الاهتمام بين علم الأصوات ومتن اللغة، وعلم النحو[٢].

ولا يكتفي الشايب بنقد البلاغة العربية وإنما يقدم بديله الأسلوبي المتمثل في عد علوم البلاغة فصولاً في باب الأسلوب، مع الإشارة إلى أن النحو والمنطق علمان مستقلان لا يدخلان في صميم البلاغة[٣].

لذا رفض الشايب التقسيم الثلاثي لموضوع البلاغة، وحصره ما بين:

١. الأسلوب: ويشتمل على:

أ. الكلمة ب. الصورة ج. الجملة د. الفقرة

٢. الفنون الأدبية: أي الأصول الفنية لـ:

أ. القصة ب. المقالة ج. الوصف د. الرسالة هـ. المناظرة[٤]

ولا تقتصر أهمية هذا التقسيم الثنائي على إدراكه لمستويات التحليل الأسلوبي، الصوتي والمعجمي والنحوي والدلالي، فحسب، وإنما تتجلى أهمية هذا التقسيم في توسيعه لميدان الدراسة الأسلوبية حتى غدت مماثلة للنقد الأدبي، وذلك من خلال حديثه عن الفنون

(1) أحمد الشايب، **الأسلوب**، ص ٢١

(2) بالي، شارل – **علم الأسلوب وعلم اللغة العام**، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، (مرجع سابق)، ص ٢١-٤٨، ص ٣١ ، ٣٢

(3) أحمد الشايب، الأسلوب، ٢٩

(4) المصدر نفسه، ص ٣٦- ٣٨

الأدبية والظواهر الأسلوبية البارزة في كل منها، ولعل هذا يقودنا إلى المبحث التالي وهو علم الأسلوب والنقد الأدبي.

٣. علم الأسلوب والنقد الأدبي

إن الأدب بناء لغوي، وإن إدراك طبيعة اللغة أمر جوهري لطالب الأدب، لذلك يتجنب الدارس الأسلوبي قضايا الفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم الأخلاق، لأن الدراسة الأسلوبية هي دراسة منهجية للتعبير الأدبي[١].

فإذا كان الأدب بناءً لغوياً فلا يمكن النفاذ إلى جوهره إلا عبر صياغاته الإبلاغية، لذا تدرس الأسلوبية أو علم الأسلوب الخصائص اللغوية التي يتحول بها الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية[٢].

من هنا يمكن أن نفهم القاعدة المعرفية التي انطلق منها الشايب في تعريف النقد، فالنقد فن وصفي، ومهمته دراسة الأساليب المعبرة عن المعاني[٣].

وهو تعريف يتميز عن تعريف الناقد الأسلوبي مدلتون مري حين قال: "إن النقد بأي حال من الأحوال، هو فحص الوسائل التي يستطيع الإنسان نفسه بواسطتها أن يعبر باللغة عن طريقة رؤيته وشعوره الرائع"[٤].

وتعد قضية "الوصفية" من الركائز الأساسية في النقد، فالقوانين التي يصل إليها علم البلاغة قوانين مطلقة، لا يلحقها التغيير من عصر إلى عصر، ويجب مراعاتها دائماً كقوانين النحو. أما علم الأسلوب فيدرس الظواهر الأسلوبية بطريقة أفقية تصور علاقة هذه الظواهر ببعضها في زمن واحد، وطريقة رأسية تمثل تطور كل ظاهرة من هذه

(1) هوف، غراهام – الأسلوب والأسلوبية، ص ١٠٨

(2) عبد السلام المسدي – **الأسلوبية والأسلوب**، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٧٧م، ص ٣١، ٣٢

(3) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ١٤، ١٥

(4) مري، مدلتون – معنى الأسلوب، ص ٧١

الظواهر على مر العصور، فهو يسجل الظواهر ويعترف بما يصيبها من تغيير دون أن يتحدث عن صواب أو خطأ[١].

ومع ذلك لا يمكن أن يستوفي النقد الأسلوبي جوانب العمل الأدبي كلها، فهناك عناصر في الأدب تتجاوز الدلالات اللغوية المباشرة وغير المباشرة، ولكن هذا التمييز لا يعني الفصل، فعلم الأسلوب، والنقد الأدبي يتعاونان ويتكاملان[٢].

ويمكن القول: إن الدراسة الأدبية تؤكد نتائج الدراسة الأسلوبية، لأن اللغة تبلور خارجي واحد لشكل داخلي، وإن دم الحياة للإبداع الشعري واحد حيثما اتجهنا[٣].

وهذا ما ذهب إليه الشايب فدراسة الأسلوب لديه ليست بديلا عن النقد، ولعل خير دليل على ذلك أنه كتب كتابا في النقد وسماه أصول النقد الأدبي، وكتب كتابا آخر وسماه الأسلوب، وإن الدارس لكتاب أصول النقد الأدبي يلحظ أن النقد لدى الشايب أرحب مدى من دراسة الأسلوب.

٤. علم الأسلوب وتاريخ الأدب

يرى الشايب أن النقد الأدبي – وهو فن وصفي مهمته دراسة الأساليب المعبرة عن المعاني كما مر بنا – جزء من تاريخ الأدب، أو هو أداته الرئيسية، فعليه يعتمد المؤرخ قبل كل شيء ما دام يتعمق في درس الأدب وتحليله[٤].

وقد سبق للناقد الأسلوبي شبتسر أن تساءل عن إمكانية تعرف روح أمة ما من خلال أعمالها الأدبية، وعن إمكانية تمييز نفسية أديب معين من خلال لغته الخاصة[٥].

---

(1) شكري عياد – مدخل إلى علم الأسلوب، ص ٤، ٤٥

(2) المصدر نفسه، ص ٤٠، ٤١

(3) شبتسر – **علم اللغة وتاريخ الأدب**، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، (مرجع سابق)، ص ٤٩-٨١، ص ٦٩

(4) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ١٧

(5) شبتسر – علم اللغة وتاريخ الأدب، ص ٦١

وجاء الجواب على لسان الشايب حين قال: "فنجد العصر الواحد من العصور الأدبية له طوابع عامة شائعة بين أدبائه، منها تتكون ميزاته الأدبية أو شخصيته الأسلوبية التي يخالف بها سائر العصور "[١].

ومما هو مقرر أن علم الأسلوب لا يكتفي بدراسة الدلالات الوجدانية العامة الزائدة على الدلالات المباشرة لمختلف التراكيب اللغوية، وإنما يدرس أيضاً الصفات الخاصة التي تميز هذه الدلالات الوجدانية في أسلوب مدرسة أدبية معينة، أو فن أدبي معين، أو في أسلوب كاتب بالذات، أو عمل أدبي واحد بعينه[٢].

لذا تحدث الشايب عن تصور كلي لأساليب الأدب العربي شعراً ونثراً، وهو تصور لا يخرج على ثلاثة أساليب:

١. الأسلوب المثالي المطبوع: ومن أعلامه: البحتري، وأبو العتاهية، والعباس بن الأحنف، والبهاء زهير، وعبد الحميد الكاتب، وزياد بن أبيه[٣].
٢. الأسلوب المصنوع: ومن أعلامه: زهير، والحطيئة، وأبو تمام، ومسلم بن الوليد، وابن المعتز، وابن الرومي، والمتنبي، وأبو العلاء، وابن المقفع، وأحمد بن يوسف، وعمرو بن مسعدة، وإبراهيم الصولي[٤].
٣. الأسلوب المتكلف: ومن أعلامه: بديع الزمان، وابن فضل الله العمري[٥].

---

(1) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ١٢٣
(2) شكري عياد – مدخل إلى علم الأسلوب، ص ٤٩
(3) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ١٦٤، ١٦٥
(4) المصدر نفسه، ص ١٦٨، ١٦٩
(5) المصدر نفسه، ١٧٢

٥. الأسلوبية التكوينية

إن أي اتجاه من الاتجاهات الأسلوبية لا يكفي وحده لدراسة الأسلوب، فكل منها يمتلك جزءاً من الحقيقة، فهي ليست سوى محاولات تجريبية لها حدودها الذاتية التي لا تتعداها، وهذا لا يحول دون الإفادة منها جميعاً، أو من بعضها على الأقل في دراسة النص الأدبي[1].

فليس هناك اتجاهات متخالفة في علم الأسلوب، فلا ينبغي أن نتحدث عن علم أسلوب جمالي، وآخر لغوي، وثالث نفسي، بل لا بد من إدماجها، وتكاملها في اتجاه واحد، فجميع هذه العناصر الأسلوبية حاضرة في النص، ودراستها تعني التفقه فيها[2].

وتعد الأسلوبية التكوينية من أبرز اتجاهات البحث الأسلوبي، وهو اتجاه يرى في الأسلوب انعكاساً للشخصية أي أنه ظاهرة تطبع بفردية المؤلف حيث تكون التعبيرات اللغوية صوراً للحوادث الفكرية الخاصة بصاحب التعبير، وهو انعكاس أيضاً للواقع الاجتماعي، والاقتصادي لعصر تأليف النص[3].

أما عن آليات القراءة في الاتجاه التكويني فقد لخصها شبتسر بالقراءة ثم القراءة، والصبر والثقة، والتشبع بجو العمل حتى بروز كلمة أو سطر، ومن ثم تنعقد صلة بين القارئ والعمل، وتظهر ملاحظات جديدة، وخواطر متواردة من دراسات سابقة، وصولاً إلى الإحساس بدافع ميتافيزيقي نحو الحل، فتحدث الدقة المميزة، وذلك من خلال الحصول على قاسم مشترك يجمع بين الجزئي والكلي، وأخيراً الوصول إلى الأصل الاشتقاقي للعمل[4].

---

(1) محمد شفيع السيد – **الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٨٩

(2) صلاح فضل – **علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته**، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٥م، ص ١١٠

(3) شبلنر، برند – علم اللغة والدراسات الأدبية، ص ٥٥- ٥٨

(4) شبتسر – علم اللغة وتاريخ الأدب، ص ٧٩ – ٨٠

وإن القارئ لكتاب "الشايب" يلحظ تأثره بهذا الاتجاه، فقد صرح بأن الذاتية أساس تكوين الأسلوب(١).

وميز بين أربعة عناصر للشخصية: "الطبع كالرقيق والخشن، أثر البيئة كالبادية والحاضرة، والثقافة، والابتكار"(٢).

وعلى هذا يتحقق للأسلوب ميزتان:

١. ميزة عامة: من حيث هو خطابة أو شعر أو كتابة.

٢. ميزة خاصة: من حيث هو أثر لأديب ممتاز(٣).

ويميز الشايب بين مستويين من القراءة الأسلوبية:

أ. استنباط شخصية الأديب من النص.

ب. تحليل شخصية الأديب، ومن ثم البحث عن تجليات ذلك في الظواهر الأسلوبية(٤).

ويشير الشايب إلى أن تحليل شخصية الأديب يستلزم دراسة معظم آثاره الأدبية، وإن كان يُلاحظ أن تحليل المؤلف لشخصيات الأدباء لا يستند إلى المادة اللغوية(٥).

كما أنه لم يُوفَّق في استكشاف تجليات الشخصية في الأسلوب الفردي في جل الأمثلة التي درسها باستثناء استنباطه العقل والذكاء والحذر من أسلوبي الشرط والاستثناء في شعر أبي تمام، واستنباطه الاستعجال من التراكيب الموجزة في شعر المتنبي(٦).

وما يوجه من انتقادات لطريقة الشايب في دراسة الأسلوب هو ما وجه لهذا الاتجاه التكويني ومن أهمها:

---

(1) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ١٣٤

(2) المصدر نفسه، ص ١٣٠– ١٣٣

(3) المصدر نفسه، ص ١٢٣

(4) المصدر نفسه، ص ١٣٥

(5) المصدر نفسه، ص ١٣٧

(6) المصدر نفسه، ص ١٦٠، ١٦١

١. تكمن الصفة الحدسية في هذا الاتجاه.
٢. شك بعض العلماء في الزعم بأن الخصائص الأسلوبية يمكن أن تطابق سمة عميقة في نفس المؤلف.
٣. التفسيرات النفسية تؤسس على شواهد لغوية غير كافية.
٤. استنباط شخصية الأديب من النص ما هو إلا تحليل لشخصية الأديب في البداية ومن ثم تلمس السند من اللغة[١].
٥. إمكانية رفض الدارس – دون أن يشعر – وقائع أسلوبية لا تدخل في إطار البناء الذي تصوره قبلاً[٢].

٦. الظاهرة الأسلوبية

ثمة سؤال يطرح عن كيفية وضع حد فاصل لما نعده تعبيراً عادياً، وما نعده أسلوباً تدرسه الأسلوبية، وقد تعددت إجابات الدارسين عن هذا السؤال الذي تعد الإجابة عنه مدخلاً ضرورياً للزاوية التي يختارها اتجاه ما للقيام بدراسة أسلوبية[٣].

في البداية يجب على الدارس الأسلوبي أن يلم بمعارف اللغة كلها: الصوتية، والعروضية، والنحوية، والبلاغية، والدلالية فهي تشمل النواحي جميعها التي يجب أن تكشف عن أسلوب الكاتب، فالواقع الأسلوبي هو في الأساس واقع لغوي[٤].

---

(1) ألمان – اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، ص ١١٢، ١١٣

(2) ريفاتير، ميكل – **معايير لتحليل الأسلوب**، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، (مرجع سابق)، ص ١٣٦، ١٣٧

(3) أحمد درويش – الأسلوب والأسلوبية، مدخل في المصطلح وحقول البحث، ومناهجه، **فصول**، مجلد ٥، عدد١، مصر ١٩٨٤م، ص ٦٠-٦٨، ص ٦١ ، ٦٢

(4) عزة آغا ملك – الأسلوبية من خلال اللسانية، **الفكر العربي المعاصر**، عدد ٣٨، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٨٣-٩٣، ص ٩٢ ، ٩٣

ولكننا لا نستطيع أن نميز الوقائع الأسلوبية عن بقية وقائع اللغة ما لم تكن لها خواص محددة، فالتحليل اللغوي الخالص للعمل الأدبي سيبرز العناصر اللغوية جميعاً دون أن يعين الملامح التي تمثل "وحدات النص" الأسلوبية، لذا لا بد من القيام بجمع كل العناصر التي تكون الهيكل الأسلوبي للنص واستبعاد ما لا يقوم بوظائف أسلوبية[١].

لقد أحسَّ "الشايب" بأهمية هذا التحديد المبدئي وقد توصل إلى أن:

١. الظاهرة الأسلوبية لا تتطابق مع الظاهرة اللغوية: " لأن البلاغة تستلزم أمرين: هما الصواب النحوي ... ثم الجمال والملاءمة لأذواق المخاطبين وعقولهم"[٢].
٢. كل ظاهرة أسلوبية ظاهرة لغوية، وليس كل ظاهرة لغوية ظاهرة أسلوبية: يقول الشايب:" إن هناك فرقاً بين الوجهين العلمي والفني في تكوين الأسلوب الأدبي، فعلوم النحو والبلاغة والعروض ... قد يعرفها الطالب ولا يحسن معها الإنشاء... وأما صياغة الأسلوب الجميل فهي فن يعتمد الطبع والتمرس بالكلام البليغ "[٣].
٣. الظاهرة الأسلوبية ليست حكراً على الأدب: أي إنها تلمس في الأدب بمعناه الخاص أي النصوص الممتازة من الشعر والنثر، وتلمس في الأدب بمعناه العام كالتاريخ، والجغرافيا، والقانون، والاجتماع، والأخلاق[٤].

فالنثر العلمي يقوم على العقل ولا يخلو من العاطفة كالمقالة، والتاريخ، والسيرة، والمناظرة والتأليف[٥].

---

(1) صلاح فضل – علم الأسلوب، ص ١١٥
(2) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ٢٦
(3) المصدر نفسه، ص ٤٣
(4) المصدر نفسه، ص ٣٠، ٣١
(5) المصدر نفسه، ص ٩٣

أما الأسلوب الأدبي بشكل عام نثراً وشعراً فيمتاز بـــ:

١. دخول العاطفة.
٢. الخلو من النفعية.
٣. يهدف إلى التأثير لا التعليم المباشر.
٤. مفعم بالصور والموسيقى.
٥. يعرض المعنى الواحد في صور عدة [١].

وإذا كان النثر الأدبي يقوم على العاطفة ولا يخلو من الفكــر القــيم، كالوصـــف والرواية، والمقالة والرسالة، والخطابة[٢]، فإن الأسلوب الشعري يمتاز بخصائص أسلوبية خاصة وهي:

١. التركيز على القيمة التعبيرية للأصوات، والمحاكاة الصوتية.
٢. الإكثار من الصور الشعرية.
٣. الإكثار من التقديم والتأخير.
٤. ورود الضرورات الشعرية.
٥. العناية بالإيجاز والكثافة في تأليف العبارة.
٦. الوزن: وهو أخص ميزات الشعر.
٧. القافية[٣].

ويخلص الشايب إلى هاتين النتيجتين:

١. تقوم الصلة بين الشعر والنثر الأدبي على اتحاد موضوعي واختلاف شكلي.
٢. الاختلاف الشكلي كمي وليس كيفياً.

---

(1) المصدر نفسه، ص ٥٩، ٦٠

(2) المصدر نفسه، ص ١٠٢، ١٠٣

(3) المصدر نفسه، ٦٥- ٧١

ومع ذلك تظل صلة اللغة بالنقد الأدبي تنصب في معظمها على صحة النص، وهذا الجانب الأعظم من اللغة هو الجانب العرفي الاجتماعي غير الفردي، ثم لا يبقى من اللغة بعد ذلك ما يتجه إلى الاعتبارات الجمالية إلا جانب الاختيار الفردي لمفردة دون أختها، ولأسلوب دون أسلوب، وكلا الأسلوبين يتمتع بالصحة اللغوية[١].

٧. مستويات التحليل الأسلوبي

٧-١ المستوى الصوتي:

يجب على الدارس الأسلوبي أن يحاول اكتشاف مجموعات وثيقة الصلة بالموضوع، وأن يعتمدها لحياكة النسيج الصوتي للقصيدة، وفي مرحلة الاستكشاف الأولي يعنى الباحث برد فعل القارئ من الناحية الصوتية تجاه القصيدة، فلا أحد يخطر على باله أن يتحدث عن موسيقى شعرية إلا إذا كان تكرار بعض الأصوات استثنائياً بحيث إنه يلفت انتباه القارئ، لكن يجب أن نتجنب تقرير دلالات الأصوات مسبقاً[٢].

وقد أشار الشايب إلى هذا النوع من الدراسة في قوله: "تجد العبارات الأدبية تحتال دائماً – مع تأثرها بالمعاني العقلية – لتكون صورة لموسيقى النفس إلى درجة محمودة"[٣].

ولا تقتصر القيمة التعبيرية الصوتية لدى الشايب على تعبيرية الأصوات وإنما تشمل تعبيرية الأوزان، وفي هذا يقول: "ولبحور الشعر وأوزانه، أثر في الأداء، وفي قوة الأسلوب، وموسيقى العبارة "[٤].

(1) تمام حسان – اللغة والنقد الأدبي، **فصول**، مجلد ٤، عدد١، مصر، ١٩٨٣م، ص ١١٦– ١٢٨، ص ١٢١

(2) جوزيف شريم – الهندسة الصوتية في القصيدة المعاصرة، **عالم الفكر**، مجلد ٢٢، العددان ٣، ٤، الكويت، ١٩٩٥م، ص ٩٤– ١٣٥، ص ٩٧، ٩٨، ١٠٣

(3) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ٧٥

(4) المصدر نفسه، ص ٨٢

ومن القضايا الصوتية التي تطرح أسلوبياً الآثار الطبيعية للألفاظ، وترتبط بنوعية الأصوات، وببنية الكلمات، فهناك كلمات معللة صوتياً، تكون العلاقة فيهـا قائمـة بـين الصوت والمعنى(١).

وقد عالج الشايب هذه القضية- ومن قبله ابن جني - حـين تحـدث عـن قـوة الأسلوب، وجعل من السمات الأسلوبية الدالة على قوة الأسلوب استعمال الكلمات الوصفية أي القائمة على المحاكاة الصوتية(٢).

ولا يربط الشايب دوماً بين الصوت والدلالة، فتجنب الكلمات المتنافرة الحـروف سمة أسلوبية لجمال الأسلوب(٣).

٧-٢ المستوى المعجمي:

إن تغير المعنى الذي يصيب الكلمات مصدر رئيسي من مصادر الدراسة الأسلوبية التعبيرية(٤).

لكن إدراك الاستعمال المجازي لا يتأتى إلا بالرجوع إلى السياق رغم أنه لا يقوم إلا على تحوير معنى كلمة واحدة، فالسياق وحده هو الذي يمكن الـسامع مـن المقارنـة والربط بين معنى الكلمة المعجمي، وما طرأ عليه من تحوير(٥).

---

(1) جيرو، بيير - الأسلوبية الوصفية أو أسلوبية التعبير، ترجمة منذر عياشي، **فصول**، مجلد ٩، العددان، ٣، ٤، مصر، ١٩٩١م، ص ٣٢٢-٣٢٨، ص ٣٢٦

(2) أحمد الشايب - الأسلوب، ١٩٤

(3) المصدر نفسه، ص ٩٩

(4) جيرو، بيير - الأسلوبية الوصفية، ص ٣٢٧

(5) عبد القادر المهيري - البلاغة العامة، **حوليات الجامعة التونسية**، عدد ٨، تونس، ١٩٧١م، ص ٢٠٧- ٢٢١، ص ٢١٩

وعلى هذا يجب دراسة الصور البيانية، كالاستعارة والتشبيه والمجاز ضمن هـذا المستوى، لكن لا بد من وصف المبدأ الأساسي لهذه الصور، وإبراز عناصرها التكوينية، وتحديد قيمتها وفاعليتها[١].

وعند العودة إلى كتاب الشايب، نجد أنه قد أولى هذا المستوى عنايته في أكثر من موضع، بمعنى أنه قد صنف الظواهر الأسلوبية المعجمية إلى ثلاث مجموعات:

أ. ظواهر أسلوبية معجمية دالة على قوة الأسلوب وتشمل:

١. الاستعمال المجازي للكلمات.
٢. استعمال الكلمات المألوفة.
٣. تجنب الحشو الفارغ.
٤. الطباق البديعي[٢].

ب. ظواهر أسلوبية معجمية دالة على وضوح الأسلوب، وتشمل:

١. اختيار الكلمات المعينة غير المشتركة بين معان، والتفريق بين المترادفات.
٢. البعد عن الغريب الوحشي.
٣. استخدام المصطلحات العلمية والفنية.
٤. استعمال الكلمات المتقابلة المتضادة[٣].

ج. ظواهر أسلوبية معجمية دالة على جمال الأسلوب، وتشمل: إبعاد الكلمات المتنافرة الحروف أو العبارات المتنافرة الكلمات[٤].

---

(1) عزة آغا ملك – الأسلوبية من خلال اللسانية، ص ٩٣
(2) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ١٩٤- ١٩٦
(3) المصدر نفسه، ص ١٨٦- ١٩٠
(4) المصدر نفسه، ص ٩٩

إن تناول الشايب لهذه الظواهر التي طالما بعثرت في الأبواب البلاغية ضمن سياق واحد ينسجم مع الطرح الأسلوبي الحديث حيث يرى بالي أن لمتن اللغة شأناً كبيراً في الدرس الأسلوبي سواء أنظرنا إليه على أنه معيار لخصائص لغة ما، أم على أنه وسيلة لتمييز العناصر العقلية، والوجدانية، في التعبير. و لكن لكي تكون لدارسة الألفاظ قيمة في علم الأسلوب، ينبغي ملاحظة المعاني التي تظهر بصورة تلقائية عند النظر المجرد لحالة لغوية معينة، مع تجنب دراسة الألفاظ دراسة تاريخية في تسلسل معانيها، وعلاقاتها الاشتقاقية بكلمات أخرى، كما ينبغي أن تدرس الألفاظ منفردة، لا أن تلاحظ الارتباطات التي تنشأ من المقارنة التلقائية التي بينها وبين مرادفاتها، وأضدادها. على أن الخصائص المميزة للغة لا تتبدى من خلال الألفاظ المفردة، بل من خلال البناء ذاته لمتن اللغة. لذلك يجب على الدراسات الوصفية في اللغة والنحو أن تنطلق من موقف وسياق معينين، وهنا يكون من المناسب تمييز الفكرة الأساسية التي تلحظ في العلامة، ودرس العمليات التي اتبعت في التعبير عنها[١].

وإذا كانت الألفاظ تعد المصدر الأساسي للتعبيرية، فإنه يمكن أن نميز من بينها:

١- الآثار الطبيعية: وترتبط بنوعية الأصوات وبنية الألفاظ، فهناك ألفاظ معللة صوتيّاً حيث تكون العلاقة فيها قائمة بين الصوت والمعنى، كما أن بنية اللفظة تسهم في إعطائها قيمة أسلوبية، وهذا عائد إلى تناغمها مع معناها، و لا تخفى علاقة هذه الارتباطات بعلم الصوتيات والصرف[٢].

٢- آثار الاستدعاء: وتشكل ميداناً رفيعاً للدراسة الأسلوبية، فهناك ألفاظ خاصة ببعض العصور، والأجناس، والطبقات، والفئات الاجتماعية، والأقاليم، بالإضافة إلى الألفاظ المهجورة، والألفاظ المستحدثة، والألفاظ الدخيلة، والألفاظ العامية، والاصطلاحات الفنية، كما أن المقام قد يكسب اللفظة المستخدمة في الحياة اليومية أثراً بالغاً، وفي

(1) بالي، شارل – علم الأسلوب وعلم اللغة العام، ص ٣٥- ٣٨

(2) جيرو، بيير – الأسلوبية الوصفية، ص ٣٢٧

بعض اللغات كالفرنسية يتم نقل النبر في اللفظة إلى موضع آخر دون أن يغير المعنى للحصول على تغير انفعالي(١).

٣- تغير المعنى :إن تغير المعنى الذي يصيب الألفاظ مصدر رئيسي من مصادر التعبيرية، ولا يتأتى إدراك الاستعمال المجازي للفظة إلا بالرجوع إلى السياق على الرغم من أنه لا يقوم إلا على تحوير معنى لفظة واحدة، فالسياق وحده هو الذي يمكن السامع من المقارنة والربط بين معنى اللفظة المعجمي وما طرأ عليه من تغيير(٢).

وعلى الرغم من كثرة الدراسات في هذا المجال، فإن ما ينقصنا هو تعريف للمجازات اللفظية وتصنيف لها، ونظرة خاصة بها(٣).

فلا بد من وصف المبدأ الأساسي للصور المجازية، وإبراز عناصرها التكوينية، وتحديد قيمتها، وفاعليتها، من أجل التعمق في الحصن الشعري الذي يختفي وراءه الكاتب حتى يتراءى عالمه غير المرئي(٤).

بقي أن نشير إلى أن الأسلوبية في المستوى المعجمي تعنى بشبكة المعاني داخل النص، وبمختلف النماذج الدلالية، والمكونات المعنوية التي تجمع الألفاظ حول موضوع موحد، ولا شك أن تعيين الحقول الدلالية في النص سيؤدي إلى دراسة ألفاظ الكاتب والعلاقات التي تجمعها وتقربها في السياق(٥).

---

(1) المصدر نفسه، ص ٣٢٧

(2) عبد القادر المهيري – البلاغة العامة، ص ٢١٩

(3) جيرو ، بيير – الأسلوبية الوصفية، ص ٣٢٧

(4) عزة آغا ملك – الأسلوبية من خلال اللسانية، ص ٩٣

(5) المصدر نفسه، ص ٩٢

٧-٣ المستوى النحوي:

يبحث المستوى النحوي في تشييد النص، وبناء الجمل، وصيغ الأفعال، وزمنها، ووظائف اللغة في النص، والأدوات النحوية، والضمائر[١].

كما يدرس علاقة الوحدات ببعضها وذلك عن طريق تحديد مثال بسيط للجملة، يعد الحد الأدنى الذي تقاس به درجة التغير وما له من غايات بلاغية كالتقديم والتأخير[٢].

ويلاحظ أن الشايب قد عني بهذا الجانب في مجال حديثه عن وضوح الأسلوب فما يزيد الأسلوب وضوحاً:

١. الاستعانة بالعناصر الشارحة أو المقيدة أو المخيلة مثل: النعت، والمضاف إليه، والحال، والتمييز، والاستثناء.
٢. تجنب أن يدل التركيب على معنيين ممكنين.
٣. تجنب ألا يدل التركيب على معنى معين دلالة قاطعة.
٤. تجنب الإكثار من التقديم والتأخير مما يجهد عقل المتلقي.
٥. العناية بالروابط فإذا فقدت عادت التراكيب والأفكار مفككة[٣].

ويذكر الشايب أن تجنب التكرار الرتيب يزيد الأسلوب جمالاً[٤]، وأن الإيجاز يزيد الأسلوب قوة لكونه يستلزم السرعة[٥].

ويدعو النقد الأسلوبي إلى ضرورة الربط بين تواتر شكل لغوي في نص ما، بما لدينا من نصوص أخرى في المجال نفسه[٦].

---

(1) المصدر نفسه، ص ٩٢، ٩٣
(2) عبد القادر المهيري – البلاغة العامة، ص ٢١٧، ٢١٨
(3) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ١٩٠- ١٩٣
(4) المصدر نفسه، ص ٢٠١
(5) المصدر نفسه، ١٩٦
(6) إيفانكوس، خوسيه – **نظرية اللغة الأدبية**، ترجمة حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، ص ٣٧

لذا يصرح الشايب بأن النصوص التي يغلب فيها الوضوح هي النصوص القائمة علي المعاني العقلية كالقانون، والفلسفة، والجغرافيا(١).

كما يرى بعض دارسي الأسلوب أنه لا يمكن للتحليل اللساني للشعر أن يقتصر على الوظيفة الشعرية، فخصوصيات الأجناس الشعرية المختلفة تستلزم إسهام الوظائف اللفظية الأخرى بجانب الوظيفة الشعرية المهيمنة، وذلك في نظام هرمي متنوع(٢).

لهذا يصرح الشايب بقوله: " لا بد من تآزر هذه الصفات وتناسقها حتى يكون الأسلوب متزناً كاملاً، يغذي العقل والشعور، ويرضي نواحي النفس الإنسانية، معبراً عنها أو مؤثراً فيها"(٣)

الخاتمة

نلاحظ أن الشايب قد جعل من الأسلوب قيماً مهيمنة في النص الأدبي، فالأدب كلام يعبر عن العقل والعاطفة، والأسلوب هو الوسيلة اللازمة لنقل الفكرة والعاطفة. هذا فضلاً عن عدّه عملية الإبداع الأدبي عملاً أسلوبياً.

كم أنه عمل على صياغة تعريف توفيقي للأسلوب وذلك من خلال توظيفه لثلاثة معايير في رصده للظاهرة الأسلوبية فالأسلوب اختيار واع، وانعكاس للشخصية، وانزياح عن قواعد اللغة المتعارفة.

ويأخذ الشايب على البلاغة العربية اقتصارها عند حدود الجملة، وإغفالها للناحية النفسية للأديب فضلاً عن إغفالها لبعض مستويات التحليل الأسلوبي كالمستوى الصوتي ، وفي المقابل قدم الشايب تقسيماً ثنائياً لموضوع البلاغة يكشف عن إدراك لمستويات

(1) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ١٩٤

(2) ياكبسون، رومان – **قضايا الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م، ص ٣٢

(3) أحمد الشايب – الأسلوب، ص ٢٠٣

التحليل الأسلوبي فضلاً عن توسيعه لميدان الدراسة الأسلوبية حتى غدت مماثلة للنقد الأدبي.

وفي سياق العلاقة بين علم الأسلوب والنقد الأدبي يعرف الشايب النقد بأنه فن وصفي مهمته دراسة الأساليب المعبرة عن المعاني، وبما أن علم الأسلوب يسجل الظواهر ويعترف بما يصيبها من تغيير دون أن يتحدث عن صواب أو خطأ، إذا يتضح أن مبدأ الوصفية هو الجسر الرابط بين النقد وعلم الأسلوب.

ولم يغفل الشايب عن إبراز العلاقة بين النقد الأدبي وتاريخ الأدب فالنقد الأدبي جزء من تاريخ الأدب ، ومن الملاحظ أنه يوظف علم الأسلوب للربط بين هذين العلمين لذا تحدث عن تصور كلي لأساليب الأدب العربي شعراً ونثراً كالأسلوب المثالي المطبوع والأسلوب المصنوع والأسلوب المتكلف.

أما عن منهجيته فيلحظ تأثر الشايب بالأسلوبية التكوينية وذلك من خلال تصريحه بأن الذاتية أساس تكوين الأسلوب وهذه الميزة الخاصة لا تتعارض مع الميزة العامة من حيث كون النص شعراً أو نثراً، وقد ميّز بين مستويين من القراءة الأسلوبية:

أ. استنباط شخصية الأديب من النص.

ب. تحليل شخصية الأديب، ومن ثم البحث عن تجليات ذلك في الظواهر الأسلوبية.

كما أحس الشايب بأهمية التحديد المبدئي لمفهوم الظاهرة الأسلوبية، فذهب إلى أنها لا تتطابق مع الظاهرة اللغوية، فكل ظاهرة أسلوبية ظاهرة لغوية، وليس كل ظاهرة لغوية ظاهرة أسلوبية، هذا فضلاً عن أن الظاهرة الأسلوبية ليست حكراً على الأدب.

ويلاحظ أن الشايب قد وظف المعيار الإحصائي في التفريق بين الشعر والنثر الأدبي حيث تقوم الصلة بين الشعر والنثر الأدبي على اتحاد موضوعي، واختلاف شكلي، ولكن هذا الاختلاف الشكلي كمي وليس كيفياً.

وأخيرا عمد الشايب إلى توزيع الظواهر على مستويات التحليل الأسلوبي ففي (المستوى الصوتي) تحدث عن تعبيرية الأصوات، وتعبيرية الأوزان، والآثار الطبيعية

للألفاظ، والمحاكاة الصوتية، وفصاحة اللفظ. وفي (المستوى المعجمي) تحدث عن ظواهر أسلوبية معجمية دالة على قوة الأسلوب، وأخرى دالة على وضوح الأسلوب، وثالثة دالة على جمال الأسلوب. وفي (المستوى النحوي) تحدث عن التراكيب الدالة على وضوح الأسلوب وتكثر في النصوص القائمة على المعاني العقلية. ولكن هذا لا يعني اقتصار نص ما على نمط معين من الأسلوب كالقوة، أو الوضوح، أو الجمال. فلا بد من تآزر هذه الصفات حتى يكون الأسلوب متزناً كاملاً يغذي العقل والشعور.

المراجع

١. إبراهيم عبد الجواد – **الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث**، ط١، ١٩٩٧م، عمان، الأردن.
٢. أحمد درويش – الأسلوب والأسلوبية، مدخل في المصطلح وحقول البحث، ومناهجه، **فصول**، مجلد ٥، عدد ١، مصر، ١٩٨٤م، ص ٦٠-٦٨.
٣. أحمد الشايب – **الأسلوب**، دراسة **بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، ط ٨، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٩٠م.
٤. نفسه – **أصول النقد الأدبي**، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
٥. ألمان، ستيفن – **اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة، وإضافة**، ترجمة شكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٥، ص ٨٣-١٢١.
٦. إيفانكوس، خوسيه – **نظرية اللغة الأدبية**، ترجمة حامد أبو أحمد، مكتبة غريب.
٧. بالي، شارل – **علم الأسلوب وعلم اللغة العام في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي (مرجع سابق)**، ص ٢١-٤٨.
٨. تمام حسان – اللغة والنقد الأدبي، **فصول**، مجلد ٤، عدد ١، مصر، ١٩٨٣م، ص ١١٦-١٢٨.

٩. ج.ب ثورن – **النحو التوليدي والتحليل الأسلوبي**، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، ص١٥٥–١٦٩

١٠. جوزيف شريم – الهندسة الصوتية في القصيدة المعاصرة، **عالم الفكر**، مجلد ٢٢، العددان ٣، ٤، الكويت، ١٩٩٥م، ص ٩٤–١٣٥.

١١. جيرو، بيير – الأسلوبية الوصفية أو أسلوبية التعبير، ترجمة منذر عياشي، **فصول**، مجلد ٩، العددان ٣، ٤، مصر، ١٩٩١م، ص ٣٢٢–٣٢٨.

١٢. ريفاتير، ميكل – **معايير لتحليل الأسلوب في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي (مرجع سابق)**، ص ١٢٣–١٥٣.

١٣. سعد مصلوح – **الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية**، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م

١٤. شبتسر، ليو – **علم اللغة وتاريخ الأدب في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، (مرجع سابق)**، ص ٤٩–٨١.

١٥. شبلنر، برند – **علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي**، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٧م.

١٦. شكري عياد – **اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي**، ط ١، ١٩٨٨م.

١٧. نفسه – **مدخل إلى علم الأسلوب**، ١٩٨٢م.

١٨. صلاح فضل – **علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته**، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٥.

١٩. نفسه – **النظرية البنائية في النقد الأدبي**، ط ٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

٢٠. عبد القادر المهيري – البلاغة العامة، **حوليات الجامعة التونسية**، عدد ٨، تونس، ١٩٧١م، ص ٢٠٧–٢٢١.

٢١. عبد السلام المسدي – **الأسلوبية والأسلوب**، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٧٧م.

٢٢. نفسه – الأسلوبية والنقد الأدبي، منتخبات من تعريف الأسلوب وعلم الأسلوب، **الثقافة الأجنبية**، السنة الثانية، عدد ١، العراق، ١٩٨٢م، ص٣٥- ٤٣

٢٣. عزة آغا ملك – الأسلوبية من خلال اللسانية، **الفكر العربي المعاصر**، عدد ٣٨، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٨٣-٩٣.

٢٤. محمد شفيع السيد – **الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢٥. محمد عبد المطلب – **البلاغة والأسلوبية**، ط ١، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ١٩٩٤م.

٢٦. مري، مدلتون – معنى الأسلوب، ترجمة صالح الحافظ، **الثقافة الأجنبية**، السنة الثانية، عدد ١، العراق، ١٩٨٢م، ص ٦٧-٧٤.

٢٧. نصر حامد أبو زيد – **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**، ط ٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٨. هوف، غراهام – **الأسلوب والأسلوبية**، ط ١، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.

٢٩. ياكبسون، رومان – **قضايا الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.